الجاليات التجارية وجنسيات التجار في ميناء عدن
دراسة في مجتمع مدينة عدن وميناؤها خلال القرنين السادس والسابع الهجريين /الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين

أ.د. محمد كريم ابراهيم الشمري
عميد كلية الآداب /جامعة القادسية

الخلاصة:

يهدف هذا البحث إلى توضيح ظاهرة اختلاط سكان عدن وتركيب مجتمعها في مرحلة تاريخية محددة ميزتها خلال عصري بني زريع وبني أيوب، واستمرت ملامحها حتى يومنا هذا ، فطبيعة عدن الكوسموبوليتية – المدينة الكونية متعددة الأجناس – تجذب انتباه واهتمام من يدرس تاريخها وحضارتها ، فهذا الخليط البشري الملون يشكل منظراً فريداً يميز عدن عن بقية المدن العربية ، ولعله اهم الملامح السياحية فيها .

ومع ذلك كله بقيت عدن عربية – إلى الأبد – وظل الطابع العربي هو الطابع الذي يميز هويتها العربية الأصيلة، على الرغم من كونها ميناءً تجارياً مفتوحاً على التجارة العالمية، ومن خلال هذا البحث العلمي ندحض الادعاءات والافتراءات الكاذبة والطروحات التي يروجها بعض المتطرفين والمزايدين المغالين من دعاة العروبة والقومية، الذين عميت بصائرهم، مدعين أن هذا الاختلاط يمثل تشكيكاً في عروبة المنطقة وقوميتها !!، وهي ادعاءات باطلة لا تصمد أمام الحقائق التاريخية، التي تؤكد أن عدن عربية دوماً،وأنها تحتضن هذه الأجناس التي تمثل نسيجاً زاهيا بألوانه الجميلة، مثلها مثل ألوان الطيف الشمسي، وان تلك الشكوك والمخاوف غير مبررة إطلاقا من الناحيتين العلمية والواقعية، فهذا الاختلاط البشري يترجم بوضوح تسامح العرب والمسلمين في التعامل الإنساني الذي رسمه الإسلام، خصوصاً بالنسبة للأجناس غير العربية التي دخلت الإسلام وعاشت في المجتمع العربي – الإسلامي عبر مراحل التاريخ المختلفة، فضلاً عن ذات التعامل الإنساني مع الأجناس الأخرى خارج نطاق الإسلام، وهكذا ظلت عدن عربية إلى الأبد، وظل الطابع العربي هو الطابع الذي يميز هويتها الأصيلة في مختلف العصور التاريخية وحتى يومنا هذا.

المقدمة :

عدن من أسواق العرب القديمة، اكسبها موقعها شهرة متميزة في التجارة، فبعد انقضاء سوق الشحر، ينتقل الناس منها إلى عدن، فتنعقد سوقها في أول يوم من شهر رمضان المبارك وحتى العاشر منه، ثم ينصرف الناس إلى مثلها في العام القادم.

اشتهرت عدن في عالم التجارة منذ العصور القديمة، فكانت ميناء تجارياً مفتوحاً على التجارة العالمية، ورد ذكرها عند قدماء اليونان والرومان وغيرهم.

اكتسب ميناء عدن أهمية متميزة في العصور الإسلامية، وعلى وجه التحديد منذ قيام إمارة بني المكرم الجشمي اليامي الهمداني، بحدود سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م، وتركزت تلك الأهمية بصورة اكثر وأوضح خلال عهد بني زريع، وهم فرع من بني المكرم، استقلوا في حكم عدن بحدود سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م، وفي عهدهم تميز ميناء عدن بنشاط واضح، من خلال فعالياته الاقتصادية الداخلية، فضلا عن توسع علاقاته الخارجية، مما أدى إلى جذب أعداد كبيرة من المهاجرين إلى عدن واستقرارهم فيها من العرب داخل بلاد اليمن وشبه الجزيرة العربية وأطرافهما، فضلا عن المهاجرين الوافدين إليها من التجار والعاملين في الوسط التجاري من الحبشة والهند والصين وبلاد فارس،

فأصبحت عدن : فرضة اليمن ومحط رسو السفن وإقلاعها، وقد نجح بنو زريع والأيوبيون من بعدهم في اجتذاب هؤلاء المهاجرين؛ بسبب النشاط التجاري لميناء عدن من جهة، ونجاحهم في استتباب الأمن والاستقرار فيها من جهة أخرى. كما يرجع الفضل لبني زريع بأنهم أول من وضع نواة التنظيم الاقتصادي للميناء والمدينة؛ من خلال تشريع القوانين وفرض الضرائب على البضائع والسلع التجارية الواصلة إلى الميناء من مختلف أنحاء العالم.

وفي عصر بني أيوب ٥٦٩ – ٦٢٦هـ/١١٣٧ – ١٢٢٨م شهدت عدن تطورا كبيرا ومتميزاً، خصوصاً في عصري نائبيها : أبو عمرو عثمان بن علي الزنجيلي التكريتي والمعتمد رضي الدين محمد بن علي التكريتي، فكان سكانها يملأون الفضاء الممتد من سفح جبل الخضراء طولاً وعرضاً وحتى باب عدن (باب البر) المسماة اليوم : العقبة، وكان ميناء عدن القديم على ساحل صيرة (الخليج الأمامي)، وتميزت المناطق المتاخمة للميناء والقريبة منه بازدحام شديد لسكانها، اكثر من غيرها ضمن مناطق مدينة عدن الأخرى، خصوصاً في حافتي القطيع والعيدروس (حالياً)، ونتيجة لهذه الازدحام حفر الناس الآبار وبنوا المساجد والدور والأملاك والأسواق والدكاكين، فاصبحوا أصحاب خير ونعم.

ومن البديهيات المعروفة والمُسّلم بها لدى المؤرخين وعلماء الاجتماع، فضلا عن عوام الناس والسذج منهم، إن المدن المطلة على السواحل، المعروفة بـ : الموانئ، المرافئ، فُرَض البحر، تتميز بإقامة الأسواق التجارية، ووجود النُزّال (الوافدين) الأجانب أو الغرباء فيها من مختلف الجنسيات، كما تتواجد فيها بمرور الزمن الجاليات التجارية من مختلف الأجناس والأصول، مما يؤدي إلى دخول الكثير من القيم والعادات والتقاليد والأزياء والمودات واللهجات واللغات ...، فضلا عن تأثر سكان المدينة الأصلية نتيجة اختلاطهم بهؤلاء الأجانب، بانتقال كثير من مظاهر وألوان ثقافتهم – المشار إليها آنفا – إليهم بمرور الزمن، بل يؤدي ذلك الاختلاط البشري إلى امتزاج الدماء بالمصاهرة، وبذلك تتأثر هذه المناطق الساحلية قبل غيرها من المناطق الداخلية من البلاد بهؤلاء المهاجرين، الذين استقروا في المدينة (الميناء – المرفأ – الفرضة)؛ للعمل في وسطها التجاري.

١- العنصر العربي :

نؤكد في هذا البحث تأثير الأحوال السياسية في تطور مدينة عدن وميناءها وازدياد سكانها وتنوعهم من العرب وغيرهم، ففي النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وعلى وجه التحديد منذ سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م، كان أمراء عدن بنو المكرم، وهم فرع من قبيلة همدان العربية، من جشم بن يام بن أصبا (١)، وانهم من حاشد همدان وهم بيت شرف ورئاسة. (٢)

وفي رواية (٣) أن بني زريع – وهم فرع من بني المكرم – من قبيلة همدان، بعد انتصارهم على محاولة غزو عدن من قبل ملك جزيرة قيس (كيش) حوالي سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م(٤)، نزلوا من الحصون، وسكنوا الوادي وبنوا الدور الجميلة، فكانوا أول من بنى الدور بالحجر والجص في عدن، وهذا يدل على انهم كانوا يسكنون الحصون المرتفعة في أعالي الجبال المحيطة بعدن؛ لأسباب تتعلق بعدم توفر الاستقرار السياسي والتأهب لصد العدوان الخارجي.

كانت معظم بيوت عدن مبنية من الخوص؛ لقلة وعزة الحجر عندهم، لأنه كان يحمل إلى عدن من أعمال أبين، لذا لا يتمكن السكان من البناء بالحجر إلا أهل القوة والثراء، فكان ولاتها يسكنون الحصون إلى أيام بني زريع الذين استقلوا بحكم عدن في حدود سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م، إذ وصل عدن أبو الحسن علي بن الضحاك الكوفي ورغب في سكناها، ويبدو انه كان رجل أعمال في الأعم الأرجح، إذ استخدم العمال من العبيد والإماء في قطع الحجر من جبال عدن، وكان أول من اظهر

المقلاع (مكان قطع الحجر وقلعه) في عدن، وتبعه الناس في ذلك، فانتشر وكثر بناء الدور بالحجر والجص فيها منذ ذلك الوقت. (٥)

أدى نشاط العمل التجاري إلى تزايد سكان عدن من العرب بوجه خاص، إذ قدموا إليها من أطراف اليمن والجزيرة، كما قصدها الناس من الأقطار العربية المجاورة للعمل والاتجار، ويستدل من تزايد سكان عدن على استقرار الأحوال السياسية فيها منذ عهد بني زريع، الذين كان لهم دور مهم وواضح في ازدياد سكان عدن العرب، خصوصا من قبيلة همدان العربية ومن ذوي الصلة بأمرائها الهمدانيين من بني المكرم وبني زريع من بعدهم.

سكنت عدن قبائل عربية معروفة في عهد بني زريع فضلا عن قبيلة همدان، مثل قبائل مذحج وخولان وحمير وعنس وجنب بن سعد وغيرهم (٦)، ومن القبائل العربية التي سكنت عدن : الاعنود، قوم يسكنون لحج وأبين وعدن منهم الشاعر ابوبكر بن احمد العندي، كان من الرجال البارزين في عهد محمد بن سبأ الزريعي أمير عدن (٥٣٤هـ / ٥٥٠هـ / ١١٣٩ – ١١٥٥م)، وكان يعرف بـ : وزير الدولة الزريعية وكاتب ديوان الإنشاء فيها. (٧)

وفي ترجمة الفقيه الحافظ أبي الحسن علي بن أبي بكر الفضلي المولود سنة ٤٩٤هـ والمتوفى بقرية عرشان سنة ٥٥٧هـ، انه قدم مدينة إب سنة ٥٤٥هـ ثم ارتحل إلى عدن، فاخذ عنه بها القاضي احمد القريضي، واخذ معه كثير من المغاربة والاسكندرانيين وأهل عدن (٨)، ونستدل مما ذكر على وجود أعداد كبيرة من السكان العرب من أهل المغرب العربي ومدينة الإسكندرية في عدن خلال القرن السادس الهجري، قدموا إلى عدن لدراسة الفقه والعلوم الدينية، على أيدي الفقهاء وشكلوا نسبة من سكانها ومجتمعها.

وممن وصل عدن من العراق الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبدويه النهرواني (٩)، وهو من أبناء التجار المسافرين، سكن عدن أولا، ثم انتقل إلى زبيد، واستقر أخيراً في جزيرة كمران في البحر الأحمر، واستخدم أمواله في التجارة إذ اشترى عددا من السفن الصغيرة التي كان يعمل فها عدد من الصناع والأُجَراء لحسابه، وأخيرا توفي ودفن في جزيرة كمران سنة ٥٢٥هـ. (١٠)

ووصل عدن من العراق إسماعيل بن عبد الملك بن مسعود الدينوري البغدادي، كان فقيهاً مفسراً محدثاً فاضلاً، اصله من العراق قدم إلى عدن واستقر فيها واخذ عند كثير من فقهائها، منهم القاضي احمد القريضي، وكان عابداً زاهداً مشهوراً بالكرامات وصحبة الخضر، له بعدن مسجد يعرف باسمه.(١١)

أثرت الأحوال السياسية في زيادة أعداد السكان المهاجرين إلى مدينة عدن واستقرارهم فيها، فكان لتدهور الأحوال السياسية في مدينة زبيد؛ بسبب قيام إمارة بني مهدي بزعامة علي بن مهدي بعد القضاء على إمارة بني نجاح سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م، وما صاحبها من قتل ورعب نتائج كبيرة في هرب كثير من العلماء وأهل زبيد وانتقالهم إلى عدن (١٢)، قال الجندي (١٣) : ((ان أهل زبيد لما طال عليهم البلاء من ابن مهدي واشتد خوفهم وطال حصارهم، خرج منهم خلق كثير وركبوا البحر وقصدوا عدن))، وأكد الخزرجي (١٤) ذلك قائلاً – وهو يصف حالة أهل زبيد : ((ولما طال البلاء على أهل زبيد من ابن مهدي وطال حصارهم خرج منهم خلق كثير وركبوا البحر وقصدوا عدن)). ونستدل مما ذكره هؤلاء المؤرخون أن كثيرا من العرب أهل زبيد انتقلوا منها إلى عدن واستقروا فيها؛ بسبب تدهور الأحوال السياسية فيها.

اشتهر من هؤلاء المهاجرين كثير من العلماء، منهم : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن قريظة المعروف بـ : التهامي (١٥)، وأبو عبد الله محمد بن عيسى بن سالم الميتمي (١٦)، وأبو عبد الرحمن الحسن بن خلف بن الحسين المقيبعي، الذي دخل عدن هاربا من زبيد، والتقى بعدن بجمع من العلماء واخذوا عنه ثم سافر إلى السودان. (١٧)

ازدهرت عدن في عهد بني أيوب وكثر الناس بها وتوطنها العرب، فحفروا بها الآبار وبنوا المساجد والأسواق والدكاكين، وتمتعت بمكانة متميزة وشهرة واسعة، وازدهرت عدن كمركز تجاري في عهد نائب الأيوبيين أبو عمرو عثمان بن علي الزنجيلي التكريتي، وعظم شانها ونشطت الحركة التجارية فيها وازداد عدد سكانها العرب وكثرت العمارة فيها (١٨)، وفي عهد المعتمد رضي الدين محمد بن علي التكريتي نائب بني أيوب كثر الناس بعدن فبنوا الدور والأملاك. (١٩)

دخل إلى عدن خلال عهد بني أيوب كثير من العرب من اليمن وخارجها، فمن الخوهه (الخوخة) (٢٠)، أبو محمد الحسين بن أبي بكر بن أبي حسان بن اختيار الشيباني، كان يتردد بين بلده وعدن وزبيد، وعرض عليه قضاء زبيد أيام السلطان توران شاه بن أيوب فرفض توليه، ثم فُرض عليه أيام السلطان سيف الإسلام طغتكين فرفضه أيضا. (٢١)

وسكن عدن أبو الحسن علي بن عيسى بن مفلح بن المبارك المُليكي، كان زاهداً ورعاً يرحل بين بلده (إب) وعدن، وعرض عليه قضاء عدن فكره ذلك، وأراد السلطان سيف الإسلام طغتكين إكراهه على ذلك فامتنع وخرج من عدن، فأقام أياما في الخبت ولحقته مشقة، فمرض وعاد إلى عدن، فتوفي عقب ذلك سنة ٥٨٠هـ.(٢٢)

وتولى قضاء عدن سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م عمر بن محمد الكُبيبي (٢٣)، وولى القضاء بعده القاضي عبد الوهاب بن علي المالكي(٢٤)،وكان هؤلاء القضاة يعينون بإشراف القاضي الأثير أبو عبد الله محمد بن بنان الانباري، الذي قدم إلى اليمن بصحبة السلطان سيف الإسلام طغتكين، ثم صرفه السلطان عن القضاء سنة ٥٨١هـ. (٢٥)

نستنتج مما سبق أن الأيوبيين في اليمن استعانوا بكثير من العرب من الشام والعراق، واسندوا إليهم وظائف عديدة منها القضاء والإمارة على بعض مدن اليمن، فقد كان قاضي قضاة اليمن عبد الله بن عمر الدمشقي الذي دخلها بصحبة السلطان توران شاه، ورافقه عند دخوله عدن ثم عاد إلى مصر عند رجوع السلطان إليها (٢٦)، كما كان أميرا عدن عثمان بن علي الزنجيلي التكريتي والمعتمد رضي الدين محمد بن علي التكريتي من العراق، واستقرا في عدن وقاما بإصلاحات عظيمة خلال توليهما إمارتها، وممن دخل عدن الشاعر والأديب المعروف بـ : التكريتي، وكان شاعراً مرموقاً ذا مكانة محترمة. (٢٧)

أشار ابن المجاور (٢٨) إلى استقرار أعداد كبيرة من العرب في عدن من أهل الإسكندرية والقاهرة والصعيد وأهل حضرموت والصومال (مقديشو)، إذ يقول : ((وغالب سكان البلد عرب مُجَمعة من الإسكندرية ومصر [القاهرة] والريف [الصعيد] ... وحضارم ومقادشة وجبالية وأهل ذبحان وزيالع ...))، وهذا يعني أن المصريين والحضارمة وأهل مقديشو وأهل اليمن شكلوا نسبة كبيرة من حجم سكانها في عصر الرحالة ابن المجاور خلال القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

كان سكان عدن خليطاً من العرب ويهود اليمن وقليل من التجار الهنود والمصريين، وفي أيام بني أيوب وصل مئات من الجنود المصريين والغُز والأكراد، واستقر بعضهم في عدن. (٢٩)

إن هذا الوصف لسكان عدن وتنوع أجناسهم وأصولهم، الذي انفرد بذكره ابن المجاور، يوضح لنا انه جمع خليط من المصريين أهالي الإسكندرية والقاهرة والصعيد، فضلا عن الأعاجم وأهل فارس وحضرموت والصومال وغيرهم، وهو دليل واضح على نشاط العمل التجاري في عدن، الذي جذب رجال الأعمال والعمال العاملين في الوسط التجاري إليها من مختلف الأرجاء، فجنوا الثروات الطائلة، كما أن الحاجة إلى الأيدي العاملة في الميناء في مختلف مجالات العمل التجاري، أدت إلى الاستعانة بأجناس متعددة لاستخدامها في تلك الخدمات، سواء أكانت في الميناء أو في بقية مجالات العمل التجاري داخل مدينة عدن.

وكان من بين عوامل زيادة سكان عدن، دخول العرب إليها من أهالي المناطق القريبة واستقرارهم فيها، ولما كانت لحج من أعمال عدن فقد غلب على أهلها دخول عدن والإقامة فيها (٣٠)، وكذلك أسهمت العوامل السياسية في زيادة سكان عدن من العرب، ففي رواية (٣١) أن ناصر الدين محمد بن عمر بن المهدي الرازي، استولى على الدعيس، فدمرها وأحرقها ونهب أهلها، في غرة شهر شوال ٦٢٤هـ؛ مما أدى إلى انتقال جميع أهلها إلى عدن.

اتسعت مدينة عدن في العصر الأيوبي اتساعا كبيراً ووصلت عمارتها إلى بابها (٣٢)، أي إلى باب البر، مما استدعى إنجاز الكثير من الخدمات ذات النفع الاجتماعي العام لسكانها مثل المساجد والحمامات والدور والدكاكين والأسواق والآبار، وفي هذا المجال وصف ابن المجاور (٣٣) ازدياد سكانها بقوله : ((وكثر الخلق بها فبنوا الدور والأملاك وتوطن بها جماعة عرب من كل فج عميق))، وقال أيضا : ((وحفرت الناس بها الآبار وبنوا بها المساجد وأقاموا المنابر ورجعت طيبة))، وجمع أبو مخرمة (٣٤) بين نصي ابن المجاور، بقوله : ((وكثر بها الناس في دولة بني أيوب وتوطنها جماعة من كل فج وحفروا بها الآبار وبنوا بها المساجد وأقاموا بها المنابر)).

مما سبق يتضح لنا أن معظم سكان عدن عرب يمانيون وغيرهم ينتمون إلى مختلف القبائل العربية اليمانية، كما سكنها العرب القادمون إليها من أطراف اليمن والجزيرة العربية والعراق ومصر وبلاد المغرب العربي.

شَكَل العنصر العربي الذي دخل إلى عدن للمتاجرة والعمل في الوساطة التجارية جزءاً كبيراً من مجتمعها أيضا، ولدينا أمثلة ودلائل كثيرة تؤكد أن العرب كان لهم دور في النشاط التجاري داخل مدينة عدن وميناءها، إذ استقر كثير منهم فيها وشكلوا جزءاً من مجتمعها، ففي أيام بني زريع قدم إلى عدن أبو العباس احمد بن محمد الأبي، نسبة إلى أبه في تونس(٣٥)،كان أديبا شاعراً،سافر إلى اليمن تاجراً،واجتمع في عدن مع الأديب الشاعر أبي بكر العندي،ثم غادرها إلى مصر فاستقر بالإسكندرية (٣٦)، ونستدل من قدوم الأبي على وجود صلات تجارية بين عدن وبلدان شمال أفريقيا، وكان هؤلاء العرب القادمون إلى عدن من تجار وفقهاء وأدباء، يدخلونها لإنجاز أعمال خاصة بهم ثم يغادرونها بعد إقامة قصيرة مؤقتة، أو يستقرون فيها ويتخذونها وطناً لهم.

وشهدت الصلات التجارية الوثيقة بين عدن ومصر استقرار الكثير من المصريين في عدن ومزاولتهم النشاط التجاري فيها، وقد سبقت الإشارة إلى ما ذكره ابن المجاور من استقرار المصريين من الإسكندرية والقاهرة والصعيد في عدن خلال القرنين السادس والسابع الهجريين / ١٢ – ١٣م.

وبنى السلطان طغتكين (٥٧٩ – ٥٩٣هـ) بناية على جبل حقات في عدن لمراقبة منظر تجار الكارم (٣٧) القادمين من مصر (٣٨)، مما يدلل على قوة الصِلات التجارية بين عدن ومصر، من خلال النشاط التجاري المتميز للتجار الكارمية ودورهم المؤثر في الحياة السياسية والاقتصادية في القرنين السادس والسابع الهجريين، وهكذا شكل هؤلاء التجار المصريين جزءاً من مجتمع عدن.

ومن تجار مصر الذين استقروا في مدينة عدن واتخذوها وطناً ثانياً لهم : بني الخطباء (٣٩)، واستمر وجودهم حتى القرن الثامن الهجري، وتولى بعضهم مسؤولية إدارة مدينة عدن (٤٠)، وكان ثغر عدن أهم موانئ التجارة اليمنية للمصريين. (٤١)

توثقت العلاقات التجارية بين مصر وعدن، وكان أهل عدن يعتمدون في توفير بعض موادهم الغذائية على ما يصلهم من مصر، وهذا ما دفع المسؤولين في ميناء عدن أيام بني زريع خلال القرن السادس الهجري إلى إعفاء العديد من المواد الواصلة من مصر إلى عدن من عشور التجارة، وهي : الحنطة والدقيق والسكر والأرز والصابون الرقي والاشنان والقطارة وزيت الزيتون وزيت الحار والزيتون المملح وعسل النحل إن كان قليلا. (٤٢)

استمر الاتصال التجاري بين مصر وعدن خلال العصر الأيوبي، لان اليمن أصبحت جزءاً من الدولة الأيوبية تدار من قبل أمراء وسلاطين بني أيوب الذين كانوا يترددون باستمرار على عدن، وكذلك أمراؤهم الذين عينوا من قبلهم، وكانوا يرسلون الأموال من عدن وزبيد وغيرها إلى مصر، كما حصل عند مغادرة السلطان توران شاه بن أيوب اليمن إلى مصر فالشام، ثم عاد إلى مصر واستقر بالإسكندرية حتى وفاته فيها سنة ٥٧٦هـ. (٤٣)

تميزت العلاقات بين عدن وشرق أفريقيا خصوصاً مع مقديشو (عاصمة الصومال حالياً) بنشاط تجاري، وشكل أهل مقديشو جزءاً من مجتمع عدن وسكانها العرب، كما كان السفر بين عدن ومقديشو متيسراً ويجري في موسم (٤٤) واحد، ومن مقديشو إلى كلوة موسم، ومن كلوة إلى جزر القمر (٤٥) موسم ثالث(٤٦)، وقيل (٤٧) إن المقصود بالموسم هو العام، لكننا نميل إلى ترجيح ما ذكر جويتين (٤٨) من أن المواسم هي المسافات الطويلة، وهي نفس الكلمة التي تدل في المحيط الهندي على الرياح الموسمية، وهي الرياح التي كانت تستغرق ستة أشهر في اتجاهها من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي وبالعكس في كل دورة مدتها ستة أشهر لتكمل السنة.

ذكر ابن المجاور (٤٩) أن أحد المراكب سار من جزر القمر إلى عدن في ذلك الاتجاه، ((اقلع من القمر وكان طالباً كلوة فأرسى بعدن))، ووصف مراكبهم بقوله : ((ولمراكبهم أجنحة لضيق بحارهم ووعرها وقلة الماء بها))، وكانت تلك الرحلة قد تمت سنة ٦٢٦هـ.

ويتضح لنا مما سبق أن العلاقات التجارية كانت وثيقة بين عدن والساحل الشرقي لأفريقيا، من خلال الرحلات التي كانت تبدأ من القمر في المحيط الهندي باتجاه كلوة على الساحل الشرقي لأفريقيا ثم إلى عدن، وكان الصلات بين جزر القمر وعدن قديمة جدا (منذ أيام الفراعنة)، واستقر قسم من أهل هذه الجزر في عدن وتركوا آثارهم الشاخصة فيها، وكانوا يخرجون من جزر القمر ويدخلون إلى عدن مباشرة دون توقف في موسم واحد. (٥٠)

وشكل الزيالع وهم أهل ميناء زيلع في السودان حالياً، (وكانت في تلك العصور جزءاً من الحبشة)، شكلوا جزءاً من سكان عدن ومجتمعها، وكانت زيلع تتمتع بعلاقات وثيقة قديمة مع عدن، ففي رواية (٥١) إن مياه الشرب كانت تصل إلى عدن من زيلع، ويقال أن طين البناء نقل إلى عدن لبناء أحد صهاريج المياه، من نواحي أبين وقيل من زيلع، وشكل الزيالع جزءا من سكان عدن (٥٢)، إذ كان عدد منهم من التجار والعاملين في الوسط التجاري، فضلا عن استقرار أعداد منهم في المدينة.

٢- الجاليات التجارية الأجنبية:

أشرنا في الصفحات السابقة إلى أن غالبية مجتمع عدن كان من العناصر العربية المتمثلة بالقبائل العربية اليمانية التي استقرت في عدن وأطرافها، فضلا عن العناصر العربية الوافدة إليها من أطراف اليمن والجزيرة العربية والعراق ومصر وشمال أفريقيا من تونس وغيرها، وتجدر الإشارة إلى أن استقرار الأحوال السياسية في عدن خلال عصري بني زريع وبني أيوب؛ كان له أثره الفعال والمهم في ازدياد سكان عدن من العرب للعمل في التجارة والوسط التجاري، ولأجل الاستقرار فيها من قبل الفقهاء والشعراء والأدباء وغيرهم.

لم يقتصر الوسط التجاري في عدن على هؤلاء المهاجرين الوافدين، بل أن نشاط العمل التجاري في ميناء عدن استدعى استقرار أعداد أخرى من الناس من العرب ومن جنسيات أخرى متعددة؛ لمزاولة نشاطهم التجاري ومتابعة الأعمال التجارية من بيع وشراء ووساطة تجارية (سمسرة) ودلالة وتصدير واستيراد... الخ، وهذا يدفعنا إلى القول أن مجتمع عدن كان يضم أعداداً كبيرة من العرب أنفسهم العاملين في التجارة والوسط التجاري، كما استقبل أعدادا أخرى من التجار الأجانب للعمل في الوسط التجاري، فضلا عن أن اليهود كان لهم دور في التجارة ومزاولة العمل في الوسط التجاري، من : التوسط والصيرفة ووكالة التجار لتمشية معاملاتهم التجارية في ميناء عدن، كما دخلت

عدن أعداد من الهنود من الجواري والغلمان واصبحوا جزءاً من مجتمعها (٥٣)، لذا يصعب كثيراً الفصل بين المجتمع والوسط التجاري في عدن، لان الأخير كان يشكل أيضا جزءا من مجتمعها، لكننا سنشير في مجال الوسط التجاري إلى المعاملات التجارية التي قام بها العرب وغيرهم في ميناء عدن، ونركز على العناصر التي تنتمي إلى جنسيات أخرى غير عربية من التجار بوجه خاص، فضلا عن الإشارة إلى الفعاليات التجارية التي مارسها التجار العرب في ميناء عدن سواء أكانوا أفرادا أم جاليات ومجموعات، تنتمي إلى قبيلة أو بلاد عربية معينة، وهكذا اختلط سكان عدن –كما سبق وان ذكرنا ذلك – اختلاطاً كبيراً في ظل العمل التجاري النشيط.

ضم الوسط التجاري في عدن تجاراً ينتمون إلى جنسيات مختلفة، فقد شهدت العلاقات التجارية بين عدن والهند تطورا كبيرا منذ أيام بني زريع، إذ وردت كثير من المواد التجارية من الهند وفرضت عليها عشور التجارة في ميناء عدن، مثل : الفلفل والنيل وقشر المحلب والطباشير (الكريستال) وعود الدفواء والكافور والقرنفل والحديد والتمر هندي (الحَمَر) والثياب الخام الهندية، كما أعفيت كثير من البضائع الواصلة من الهند إلى عدن من عشور التجارة، مصل : الهليلج المربى ووسائد الموائد الجلدية والأرز والكجري (وهو الأرز والماش مخلوط) والسمسم والصابون والمغر الكلاهي والقرنفل وثياب العرابية المصنوعة في بدقلي والتمر المقلف الذي استخرج نواه والسمك المملح إذا كان بدون رأس. (٥٤)

دخلت إلى عدن أعداد كبيرة من الرقيق والجواري من الهند، وكان يمارس هذه التجارة بعدن تجار من الهند مثل الحسن بن علي حزور الفيروزكوهي (٥٥) الذي ذكر عنه ابن المجاور (٥٦) انه باع جارية هندية بعدن لرجل اسكندراني، وقد اعفي من العشور في ميناء عدن غلمان حَودر الذين يجلبون من الهند (٥٧)، كما أن الضرائب كانت لا تفرض على الجواري الجميلات والعبيد الغلمان إذا كانت عيونهم واسعة. (٥٨)

وأخذت عشور الحديد بعدن على رجل فرواني (٥٩) بمقدار ٥٠% من قيمة البضاعة، وقيل أن أول من أخذت منه هذه العشور هو أبو الحسن البغدادي، وقد استجدت تلك العشور في عهد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين الأيوبي سنة ٥٩٨هـ / ١٢٠١م. (٦٠)

كان بعض التجار قد سكنوا الهند وعينوا وكلاء لهم من الهنود وغيرهم في عدن، منهم إبراهيم بن ياجو (ييجو) التونسي الأصل من المهدية، وكان وكيله في عدن رجل هندي اسمه (باما). (٦١)

توضح لنا الرسائل المتبادلة بين التجار في كل من عدن والقاهرة، الحاجة إلى البضائع الهندية التي تتألف بصورة رئيسية من : التوابل والعطريات ونباتات الصبغ والفلفل والاهليلج والكبابة وصمغ اللك والقرفة الصينية والقرنفل، لان تلك البضائع قد طلبت لتنقل من عدن إلى القاهرة. (٦٢)

دخلت إلى عدن أعداد كبيرة من الهنود للتجارة ولمزاولة أعمال تتعلق بالنشاط التجاري، وقد شكلت تجارة عدن مع الهند مظهراً مهماً من مظاهر ذلك النشاط من خلال التبادل التجاري الذي يمكن الاطلاع على جزء من قوائمه المتبادلة (٦٣)، وكان لتجارة عدن مع الهند أهميتها في تجميع الموارد الطائلة لخزينة الدولة الأيوبية، من خلال أربعة مصادر رئيسية لتلك التجارة تدخل ضمن إيرادات ميناء عدن، ثم تنقل إلى حصن تعز، مجموع مبالغها ٦٠٠ ألف دينار سنوياً، واستمر وصول أموال هذه الخزائن حتى سنة ٦٢٥هـ، ثم انقطعت في تلك السنة، وهي :

١- خزانة قدوم المراكب من الهند.
٢- خزانة دخول الفوة إلى عدن.
٣- خزانة خروج الخيل من عدن إلى الهند.
٤- خزانة سفر المراكب إلى الهند.(٦٤)

وشكل التجار الآخرون من جنسيات مختلفة نسبة في الوسط التجاري في عدن، يتضح ذلك مما ذكره ابن المجاور [٦٥] حول هؤلاء التجار الذين اختلطوا بسكان عدن، إذ يقول : ((وغالب سكان البلد عرب مجمعة من الإسكندرية ومصر والريف والعجم والفرس وحضارم ومقادشة وجبالية وأهل دُبحان وزيالع ... وحبوش، وقد التأم إليها من كل بقعة ومن كل ارض وتمولوا فصاروا أصحاب خير ونُعم. وغالب أهلها حبوش وبرابر)).

يتضح لنا من هذا النص وصف مجتمع عدن ووسطها التجاري الذي ضم تجاراً وعاملين في الوسط التجاري من جنسيات مختلفة عربية وغير عربية، وكثرة الأحباش والبرابر فيها من العاملين في الوسط التجاري والحركة التجارية النشيطة للميناء، التي تطلبت أعداداً كبيرة من العمال الذين استخدموا في تحميل وتفريغ البضائع في الميناء وفي المحلات التجارية والأسواق داخل المدينة، وكان كثير من هؤلاء العاملين من بلدان ارتبطت بعدن ارتباطاً تجارياً واقتصادياً وثيقاً، وفي هذا الصدد يشير ابن المجاور [٦٦] إلى هذه العلاقة بقوله : ((ومادتهم من الهند والسند والحبشة وديار مصر ومأكولهم الخبز وأدمهم السمك))، وفي هذا النص إشارة صريحة جدا إلى اعتماد أهل عدن على استيراد الكثير من المواد الغذائية والضرورية من الهند والسند والحبشة ومصر، وهي البلدان التي شكل التجار والعاملون في الوسط التجاري جزءا كبيرا من سكانها، أي سكان عدن، كما شكل تجارها نسبة كبيرة بين التجار المستقرين في عدن؛ لمتابعة أعمالهم التجارية مباشرة أو بواسطة وكلائهم وممثليهم.

٣- اليهود :

في ختام بحثنا هذا نشير إلى وجود اليهود في مدينة عدن، ودورهم في هذا الوسط التجاري من خلال خدماتهم التجارية، ومتابعة العديد من الأعمال التجارية التي اشتهروا وبرعوا بها، فقيل أن الضرائب والقوانين قد استجدت في عصر بني زريع أمراء عدن، نظمها رجل يهودي، إذ يقول ابن المجاور [٦٧] : ((ثم ضرائب وقوانين. استجدت من أيام دولة بني زريع ويقال أول من استجده فلان اليهودي، وقيل يسمى خلف اليهودي النهاوندي)).

وذكر لقمان [٦٨] إن ذلك الرجل اليهودي اسمه : خلج المهوندي [٦٩]، ولا شك أن لليهود خبرة ومهارة في مثل هذه الأمور التجارية التي كانت الحاجة ماسة إليها في مدينة ووسط تجاري مثل عدن، وذكر ابن المجاور [٧٠] انه التقى بصائغ يهودي في عدن، ولعل ذلك يجعلنا نميل إلى وجود سوق للصاغة في مدينة عدن، وكان لليهود خبرتهم ومهاراتهم المشهورة في هذه المهنة التي تلقى رواجاً واهتماماً في مدينة تجارية نشطة مثل مدينة عدن.

وقد عمل في تجارة عدن مع الهند وغيرها، وكذلك في النشاط التجاري داخل مدينة عدن عدد من اليهود – سنشير إليهم – لأجل بيان دورهم ووجودهم في مدينة عدن، ونرجح أن عددهم كان كبيرا شكل جالية لابد وانها كثرت ونشطت في مدينة ووسط تجاري مثل عدن، وهم : أسرة مضمون بن حسن بن بنوار وكيل تجار اليهود في عدن، داود بن مضمون اليهودي، مضمون بن داود، إبراهيم بن ييجو (ياجو)، حلفون بن ناثينال الدمياطي، وهو الاسم العربي لأبي سعيد الدمياطي، أبو زكري كوهين السجلماسي، عروس بن يوسف. [٧١]

ارتبط هؤلاء اليهود بعلاقات ودية مع المسؤولين السياسيين في دولة بني زريع وبعدها دولة بني أيوب؛ لتسهيل معاملاتهم التجارية ومزاولة المهام التجارية التي كانوا يقومون بها، انطلاقاً من مبدأ التسامح العربي – الإسلامي والتعامل الإنساني الذي اتبعه المسؤولون في الدولتين المذكورتين، ولا نستبعد وجود صلات وثيقة بين هؤلاء اليهود ومسؤولي عدن، مثلما كانت تلك العلاقة الوثيقة بين أمراء عدن والقرصان الهندي (رامشت) الذي قدم مركبين له مع جنده، أي : قوته العسكرية؛ للدفاع عن مدينة عدن ضد غزو ملك جزيرة قيس سنة ٥٣٠هـ وموقفه المساند لبني زريع على فشل ذلك

الغزو فشلاً ذريعاً، فكان القرصان رامشت مقرباً من الشيخ بلال بن جرير المحمدي الحاكم الفعلي لجنوب اليمن ونائب بني زريع في عدن، وقد توفي ذلك البحار العظيم ودفن في مكة في ابريل سنة ٥٣٥هـ / ١١٤٠م [٧٢]، ونؤكد انه دخل الدين الإسلامي وتأثر بقيم وأخلاق العرب والمسلمين، ولعل هذا الأمر قد حظي باهتمام الكثير من التجار والعاملين في الوسط التجاري الذين استقروا في عدن واختلطوا بأهلها فاعتنقوا الدين الإسلامي والتزموا بمبادئه السامية.

اشتهر في تجارة الهند مع عدن وشمال أفريقيا وغيرهما عدد من التجار والشخصيات، هم : [٧٣]

١- أسرة مضمون بن حسن بن بنوار، وهو صاحب سفينة ووكيل تجار عدن، كان والده وكيل تجار عدن، وكان مضمون هذا نشطاً خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري، مات سنة ٥٤٦هـ / ١١٥١م وخلفه في عمله ابنه الأكبر، أي انه توفي خلال عصر بني زريع أمراء عدن. وذكر ابن المجاور [٧٤] داود بن مضمون اليهودي الذي كان يمتلك ثلاثة آبار للمياه العذبة في عدن. لعله ولد مضمون هذا.

وهناك مضمون آخر (ابن داود) من المحتمل أن يكون حفيد مضمون الأول، وقد أحرز المكانة نفسها حوالي سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م.

٢- إبراهيم بن ييجو من المهدية في تونس، أقام في الهند خلال ٥٢٧ – ٥٤٤هـ، وكان يمتلك مصنعاً للنحاس الأصفر في الهند، وبعد عودته من عدن قضى ابن ييجو عدة سنين في اليمن، وبعد موت ابنه الوحيد هناك عاد إلى الفسطاط ليزوج ابنته الوحيدة لواحد من أبناء العائلة.

٣- حلفون بن ناثينال الدمياطي، واسمه العربي أبو سعيد الدمياطي ويتضح لنا أن اسم العائلة ينتسب إلى مدينة دمياط، وهو من مصر القديمة أطلق عليه : ((الرجل الذي يُعد أهم شخصية بين زعماء عهده))، وهو وصف حي له استحقه عن جدارة بسبب اتساع سفره ومركزه الاجتماعي العالي، تركزت أنشطته التجارية وأنشطته الأخرى في مصر والهند واليمن والمغرب وأسبانيا، من حوالي سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م حتى سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م.

٤- تجار آخرون ذوي أهمية نذكر منهم :

أ- أبو زكري كوهين السجلماسي، وهو من سجلماسة، مدينة قوافل تجارية مهمة في المغرب، وهو وكيل تجار الفسطاط قام برحلات طويلة إلى الهند وكان يحتفظ بروابط متينة مع بلده المغرب، وبرز نشاطه بين ٥٢٧هـ/١١٣٢م و ٥٤٣هـ / ١١٤٨م، وذكر جويتين [٧٥] زواج وكيل تجار اليهود – في الفسطاط – الذائع الصيت من سيدة من عدن.

ب- عروس بن يوسف، من المهدية في تونس، وهو صاحب مصبغة في الفسطاط، كان له نشاط في البحر المتوسط وفي تجارة الهند، لكن شهرته الرئيسية كانت اكثر في البحر المتوسط، عاش في الربع الأول من القرن السادس الهجري.

جـ- تاجران عدنيان : وهما شخصيتان شعبيتان بارزتان، وهما أبناء عم مضمون الأول، وكانا وثيقي الصلة بالشخصيات السابقة.

وبسبب كثرة أعداد التجار والعاملين في الوسط التجاري القادمين إلى عدن من الهند، أو الذين عينوا وكلاء لهم في عدن، ذكر جويتين [٧٦] أن العادة المتبعة بعدن هي إجراء الفحص الطبي للمسافرين القادمين على السفن من الهند، في حين ذكر بأنه لم يعثر في الوثائق الخاصة بتجارة الهند مع عدن وغيرها، على أية إشارة تتعلق بالمسافرين في موانئ البحر المتوسط، ونرجح أن سبب ذلك انتقال الأمراض المعدية من شبه القارة الهندية، وهو إجراء حضري متطور اتبعته السلطات الصحية في ميناء عدن؛ احترازاً من انتقال الأوبئة والأمراض المُعدية من شبه القارة الهندية إلى عدن.

ولابد من الاشارة الى وصف البريهي [٧٧] لمجتمع عدن وسكانها، وخصوصاً الغرباء منهم ، إذ يوضح لنا طبيعتها وتنوع أجناس سكانها ، بقوله : ((وأما ثغر عدن ، فقد قال بعض أهله من العلماء والفضلاء بأنه : قديم الهجرة أزلي حصين ، لم تزل البركة فيه ظاهرة ، وساكنه مرحوم ملاطف ، والغالب على سكنته الخشوع وسلامة الصدر ، ولم يزالوا مثابين مأجورين ، لاتكالهم على الله بمكثهم في جزيرة لا نبات بها ولا كلأ ، وكم يزورها من العلماء الصالحين والناسكين والأبدال والأعوان والأقطاب ، أمم يجلون عن الحصر على تداول الأزمان واختلاف الأحيان)).

وعلى الرغم من وصف البريهي الموضوعي لطبيعة مجتمع عدن وسكانها، الا ان الجندي[٧٨] ذكر أن الغالب على عدن قلة الفقهاء؛ لأنهم اهل تجارة. ولعل هذا الرأي ينطبق على مرحلة تاريخية معينة لم يحددها، مما يوضح غلبة النشاط التجاري على شؤون الحياة الأخرى بما فيها الجانب الديني، لكن هذا الجانب الاخير كان ذا اهمية متميزة بالنسبة الى مجتمع عدن وسكانها، لا تقل عن اهمية العمل التجاري في الأعم الأغلب.

ومسك ختام بحثنا وصف المؤرخ المرحوم الأستاذ عبد الله محيرز[٧٩] لسكان عدن ، بقوله: ((وأهلها هم أهل اليمن .يفدون اليها من كل ركن منه ،فرادى وجماعات ،ويصيرون أهلها وتصهرهم بطابعها .يتجدد شبابها في كل جيل ،ونضارتها مع دم وافد جديد)).

وما تزال كثير من معالم عدن – حتى يومنا هذا – تحمل أسماء العديد من العناصر الوافدة التي اختلطت بسكانها وعاشت في ظل التسامح الإسلامي مع القوميات والأجناس الأخرى، ومن تلك المعالم : حافة الهنود، سوق البهرة، حافة اليهود،مسجد العراقي،صهريج الفارسي، بحيرة الأعاجم ... ، مما يؤكد بوضوح الطابع الكوسموبوليتي لعدن ، المتجسد في تعدد وتنوع الأجناس البشرية التي عاشت فيها .

-هوامش وتعليقات البحث :

(١) عمارة. المفيد ص١٧٢. الحازمي، عجالة المبتدي ص١٢٤. أبو الفدا، المختصر ٨٩/٤، محمود، تاريخ اليمن ص٢٢٢.

(٢) ابن عبد المجيد، بهجة الزمن ص٦٠.

(٣) ابن المجاور، تاريخ المستبصر ص١٢٦، وكان أمراء عدن (بنو زريع) من بني المكرم الهمداني، ذكر كحالة أن زريع بطن من بطون همدان من القحطانية. معجم قبائل العرب ٤٧٠/٢، وسماهم الحجري : آل زريع الهمدانيين، خلاصة من تاريخ اليمن ص١٥، وذكر العرشي أن آل زريع من عدن، وهم من همدان بن جشم، بلوغ المرام ص٢٨.

(٤) انظر عن تفاصيل ذلك الغزو الفاشل : إبراهيم، عدن ص١١٦– ١٢٦.

(٥) ابن المجاور، تاريخ المستبصر ص١٢٦، ابن خلدون. العبر مج ٤٦٦/٤، أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن ٩/١، ١٥١/٢، العبدلي، هدية الزمن ص٢٠، لقمان، تاريخ عدن ص٣٠٠.

(٦) الوصابي، تاريخ وصاب ص ٦٤ – ٦٥، الخزرجي، طراز ورقة ٢١٤ب، الكفاية والإعلام ورقة ٤٢أ، الديبع، قرة العيون ٣٠٦/١، أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن ٨٨/٢، لقمان، تاريخ عدن ص٤٨.

(٧) عمارة، المفيد ص ٣٢٦، الاهدل، تحفة الزمن ص٣١٧، ٣٢٩ – ٣٣٣، العبدلي. هدية الزمن ص٧٢، لقمان، تاريخ عدن ص٢٨١، ابراهيم. عدن ص٦٦، ابوبكر بن احمد العندي ص٦٤.

(٨) الجندي، السلوك ج١ ص٣٠٨ – ٣٠٩، الخزرجي، العقد الفاخر الحسن (نسخة صنعاء) ورقة ١٠أ، الاهدل، تحفة الزمن ص٢٤٧ – ٢٤٨.

(٩) ذكره الجعدي بهذه النسبة. طبقات فقهاء اليمن ص١٤٤، وهي نسبة إلى النهروان بليدة قديمة بين واسط وبغداد، أبو مخرمة. النسبة ورقة ٢٨٥.

(١٠) وذكر مؤرخون آخرون انه : المهروباني، نسبة إلى قرية بساحل البصرة تسمى : ماهروبان، انظر عنها وعن ترجمته : الجندي، السلوك ج١ ص٢٧٩ – ٢٨١، الأفضل الرسولي، العطايا السنية ورقة ٤٣أ، الخزرجي، العقد الفاخر الحسن (نسخة صنعاء) ورقة ١٠٧أ، الاهدل، تحفة الزمن ص٢٢٣، ٢٢٥–٢٢٦، أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن ٢٠٧/٢.

(١١) الجندي، السلوك ج١ ص٣٢٤، الاهدل، تحفة الزمن ص٢٧٠ – ٢٧١، أبو مخرمة، ثغر عدن ٢/٢١-٢٢.
(١٢) عمارة، المفيد ص٣٣٠،٢٣٣، الجندي، السلوك ج١/٣٢٥.
(١٣) السلوك ج١ / ٣٧٢.
(١٤) العقد الفاخر الحسن (نسخة صنعاء) ورقة ٢٠٣ أ، الشمري. ابوبكر بن احمد العندي ص٦٧.
وذكر ابن سمرة الجعدي أنه دخل عدن سنة ٥٧٤هـ، وسافر منها بطريق البحر الى مكة المكرمة في صحبة الشيخ مدافع بن اسعد الزقيري، وعلي بن احمد بن عبدالله القاضي القريضي، خطيب عدن وغيرهما من التجار. طبقات فقهاء اليمن ص١٤٧.
(١٥) الجندي، السلوك ج١/٣٣١ ويسميه : التهامي، الأفضل، العطايا السنية ورقة ٤٣أ، الخزرجي، العقد الفاخر الحسن (نسخة صنعاء) ورقة ١٢٦ ب – ١٢٧أ، الاهدل، تحفة الزمن ص٢٧٩ ويسميه : السهامي، أبو مخرمة، ثغر عدن ٢/٢٢٧.
(١٦) الجعدي. طبقات فقهاء اليمن ص١٩٣، الجندي، السلوك ج١/٣٣١، ٣٤٠، الخزرجي، العقد الفاخر الحسن (نسخة صنعاء) ورقة ١٤٠ب، الاهدل، تحفة الزمن ص٢٩٥، أبو مخرمة، ثغر عدن ٢/٢٢٧.
(١٧) الجندي، السلوك ج١ ص٣٢٥، ٣٢٧ – ٣٢٨، الأفضل، العطايا السنية ورقة ١٦ب، الخزرجي، طراز (متحف) ورقة ٢٣٢ب – ٢٣٣أ، الاهدل، تحفة الزمن ص٢٧٥، ٣٢٣، أبو مخرمة، ثغر عدن ٢/٥٩، ٢٢٧.
(١٨) أبو مخرمة، ثغر عدن ١/١٠، لقمان، تاريخ عدن ص٦٥، ٣١٩. وذكر في الصفحة الأخيرة ان الزنجيلي دعا تجار مصر والهند للقدوم الى عدن والاستقرار فيها.
(١٩) ابن المجاور، تاريخ المستبصر ص١٣٠، لقمان، تاريخ عدن ص٧٤.
(٢٠) قرية بساحل حَيس في تهامة، الجندي، السلوك ج١/٣٢٨، الاهدل، تحفة الزمن ص٢٧٦، وتعرف الآن بـ : الخوخة.
(٢١) الجندي، السلوك ج١/٣٢٨ – ٣٢٩، الاهدل، تحفة الزمن ص٢٧٦،٢٢٤ – ٢٧٧، أبو مخرمة، ثغر عدن ٢/٥٠.
وذكر ابن سمرة الجعدي أنه دخل عدن وتولى القضاء عليها في شهر ربيع الأول سنة ٥٨١هـ، والتقى فيها بالشيخ حسن الشيباني. طبقات ص١٢٧.
(٢٢) الجعدي، طبقات فقهاء اليمن ص٢١٨ – ٢١٩، الجندي، السلوك ج١/٣٦٤ – ٣٦٥، الأفضل، العطايا السنية ورقة ٣٢أ، الخزرجي، العقد الفاخر ورقة ٢٣أ، ٣٠ب، الاهدل، تحفة الزمن ص٣٢٣ – ٣٢٤، (وذكر أن المُليكي نسبة إلى الأملوك، قبيلة عربية من مذحج. المصدر نفسه ص٢٣٣)، أبو مخرمة، ثغر عدن ٢/١٥٢.
(٢٣) الجندي، السلوك ج١/٤٦٥، ويقول : ((لا ادري إلامَ هذه النسبة))، الأفضل، العطايا السنية ورقة ٣٨أ، الخزرجي، العقد الفاخر ورقة ٦٥أ، ، أبو مخرمة، ثغر عدن ٢/١٨٠. ودخل ابن سمرة الجعدي عدن سنة ٥٨١هـ وتولى القضاء عليها. طبقات ص١٢٧، الجندي. السلوك ج١/٣٢٩.
(٢٤) الجعدي، طبقات ص٢١٥، الجندي، السلوك ج١/٤٦٦، أبو مخرمة، ثغر عدن ٢/١٣٠، ١٨١.
(٢٥) الأنباري نسبة إلى مدينة الأنبار المشهورة في العراق، انظر عن ترجمته : الجعدي، طبقات ص٢٣٠، الخزرجي، العقد الفاخر ورقة ١٤٢ب، ، أبو مخرمة، ثغر عدن ٢/٧٧. وتولى ابن سمرة الجعدي قضاء ابين سنة ٥٨٠هـ، من جهة اثير الدين. طبقات فقهاء اليمن ص٢٢٣ – ٢٢٤.
(٢٦) الجعدي، طبقات ص٢٤٢، الأفضل، العطايا السنية ورقة ١٤٢ أ – ب، أبو مخرمة، ثغر عدن ٢/١١٧.
راجع عن أميري عدن عثمان الزنجيلي والمعتمد التكريتي : ابن المجاور. تاريخ المستبصر ص١٢٧ – ١٢٨، ١٣٠ – ١٣١، ١٤١، ابو مخرمة. ثغر عدن ج٢/١٣١، ٢٢٣، ابراهيم. عدن ص٢٢٥-٢٤١،٢٣٧.
(٢٧) لم يذكر المؤرخون الاسم الصريح لهذا الشاعر، انظر عنه : أبو مخرمة، ثغر عدن ٢/٣٢ – ٣٦، لقمان، تاريخ عدن ص٢٨٧ – ٢٩٠.
(٢٨) تاريخ المستبصر ص١٣٤.
(٢٩) لقمان. تاريخ عدن ص٣١٩.
(٣٠) أبو مخرمة، ثغر عدن ٢/١١، ١٣٦.
(٣١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر ص١٥٥. والدعيس موضع بناحية أبين، أبو مخرمة، ثغر عدن ٢/٧٣.
(٣٢) ابن المجاور، تاريخ المستبصر ص١٤٧، وذكر لقمان (نقلاً عن ابن المجاور سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، أن سكان عدن كانوا يملأون الفضاء من سفح جبل الخضراء طولاً وعرضاً. تاريخ عدن ص٣١٩.
(٣٣) تاريخ المستبصر ص١٣٠.
(٣٤) تاريخ ثغر عدن ج١/١٠.

(٣٥) نسبة إلى مدينة أبه في تونس بينها وبين القيروان ثلاثة أيام، توصف بكثرة الفواكه وزراعة الزعفران، الحموي، معجم البلدان ٨٥/١.
(٣٦) عمارة، المفيد ص٣٣٠ – ٣٣١، الحموي، معجم الأدباء ١١٢/٢، معجم البلدان ٨٥/١. الشمري. ابوبكر بن أحمد العندي ص٦٩.
(٣٧) الكارم كلمة أمهرية تفيد معنى (الحبهان)، وهو تابل من التوابل التي تاجروا بها، والكارم هو العنبر الأصفر، وكان لتجاره فندق خاص بالفسطاط، وأصبحت الكارمية إسماً لطائفة قوية من التجار المسلمين في العصور الوسطى، انظر : إبراهيم. عدن ص٣٦٧.
(٣٨) كان مصدرنا الأساسي في ذلك الخارطة الخاصة بمدينة عدن، وهي خارطة قديمة، انظر : ابن المجاور، تاريخ المستبصر ص١٢٩.
(٣٩) ويسمون : بني الخطاب، ماجد، ظهور خلافة الفاطميين ص٢٠٨، ويسمون : بني الخطيب. مجهول. قلائد الجمن ص٨٤.
(٤٠) أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن ١٠/١ – ١١. واستقر في عدن قوم من مصر يعرفون بـ : بني الصواف، أصلهم من الإسكندرية وهم أهل بيت تقى، منهم يوسف بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن موسى الصوافي التميمي، كان رجلاً خيراً يتعانى التجارة والاشتغال بالعلم. الجندي. السلوك ج٤١٩/٢.
(٤١) ماجد. ظهور خلافة الفاطميين ص٢٠٨.
(٤٢) ابن المجاور، تاريخ المستبصر ص١٤٢.
(٤٣) إبراهيم، عدن ص٢٢٤ – ٢٢٥، ٢٣٠.
(٤٤) ذكر الأستاذ أحمد صالح رابضة أن الموسم يقصد به : العام، تاريخ جزيرة صيرة ص٢٠٦، ولعل المقصود أن السفر من عدن إلى مقاديشو يستدعي البقاء لمدة ستة أشهر في انتظار تغير الموسم، أي اتجاه الرياح الموسمية للعودة منها.
(٤٥) وتعرف ببلاد الواق واق، وهما منطقتان : أولهما في شرق أفريقيا وهي مدغشقر وثانيهما سومطرة. حوراني، العرب والملاحة ص٢٣١.
(٤٦) ابن المجاور، تاريخ المستبصر ص١١٧، وذكر أن الملاحين والمسافرين كانوا يجمعون المواسم الثلاثة في موسم واحد، أي يتوقفوا قليلاً في كل من مقاديشو وكلوة وجزر القمر ويواصلوا سفرهم بين هذه المواقع الثلاثة، بدلاً من البقاء في كل منها موسماً كاملاً.
(٤٧) رابضة، تاريخ جزيرة صيرة ص٢٠٦.
(٤٨) دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ص٢١٩.
(٤٩) تاريخ المستبصر ص١١٧.
(٥٠) المصدر نفسه ص١١٦ – ١١٧.
(٥١) المصدر نفسه ص١١٧.
(٥٢) المصدر نفسه ص١٣٤.
(٥٣) المصدر نفسه ص١٤٤ – ١٤٦، وأشار ابن المجاور إلى أن سلطات ميناء عدن في عهد بني زريع أعفت من العشور غلمان حودر الذين يجلبون من الهند، تاريخ المستبصر ص١٤٣، كما اعفيت المواد الغذائية والكمالية القادمة من مصر والهند والحبشة من الضرائب. المصدر نفسه ص١٤٢ – ١٤٣.
(٥٤) ابن المجاور، تاريخ المستبصر ص١٤٠ – ١٤٣.
(٥٥) فيروزكوه معناها : الجبل الأزرق، وهي قلعة عظيمة حصينة في جبال غورشستان بين هراة وغزنة. الحموي، معجم البلدان ٢٨٤/٤.
(٥٦) تاريخ المستبصر ص١٤٦.
(٥٧) المصدر نفسه ص١٤٣.
(٥٨) لقمان، تاريخ عدن ص٢٩٩.
(٥٩) نسبة إلى فروانة وهي بليدة قريبة من غزنة. الحموي، معجم البلدان ٢٥٧/٤.
(٦٠) ابن المجاور، تاريخ المستبصر ص١٤٠.
(٦١) جويتين، دراسات ص٢٦٠، تقريران لشاهدي عيان ص١٣٦.
(٦٢) جويتين، تقريران ص١٣٧.
(٦٣) انظر : جويتين، دراسات ص٢٦٣ – ٢٦٩، إبراهيم، عدن ص٣٠٤ – ٣٠٦، ٣٥٦ – ٣٥٨.
(٦٤) ابن المجاور، تاريخ المستبصر ص١٤٤، إبراهيم، عدن ص٢٩٢.

(٦٥) تاريخ المستبصر ص١٣٤.
(٦٦) المصدر نفسه ص١٣٧.
(٦٧) المصدر نفسه ص١٤٠.
(٦٨) تاريخ عدن٢٩٦.
(٦٩) الصواب ما ذكره ابن المجاور : النهاوندي، نسبة إلى مدينة نهاوند، مدينة عظيمة تقع مقابل همذان بينهما ثلاثة أيام، وهي أقدم مدينة في الجبل، فتحت سنة ١٩هـ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ). الحموي، معجم البلدان ٣١٣/٥ – ٣١٤.
(٧٠) تاريخ المستبصر ص٣٢.
(٧١) انظر : جويتين، دراسات ص٢٦٠ – ٢٦١، تقريران ص١٣٦ – ١٣٧.
(٧٢) المرجع نفسه : ص٢٦١، تقريران ص١٤٤،١٤٢، إبراهيم، عدن، ص١٢٤ – ١٢٥.
(٧٣) المرجع نفسه : ص٢٦٠ – ٢٦١.
(٧٤) تاريخ المستبصر ص١٣١.
(٧٥) دراسات ص٢٥٨.

(76) Goitein, A Mediterranean Society, p. 351.

(٧٧) طبقات صلحاء اليمن ص ٣٢٦ .
(٧٨) السلوك ج٤١٩/٢.
(٧٩) العقبة،ص١٧.

المصادر والمراجع

أ- المخطوطات :

* أبو مخرمة، عبد الله الطيب بن عبد الله بن احمد، (ت : ٩٤٧هـ/١٥٤٠م).
١- النسبة إلى المواضع والبلدان، نسخة المكتبة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء، رقم (٩) جغرافيا.
* الأفضل الرسولي، الملك العباس بن علي، (ت : ٧٧٨هـ/١٣٧٧م).
٢- العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، نسخة دار الكتب المصرية، رقم (٣٥١) تاريخ.
* الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن بن وهاس، (ت : ٨١٢هـ/١٤٠٩م).
٣- طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، نسخة مكتبة المتحف البريطاني، رقم ٢٤٢٥، O R .
– نسخة المكتبة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء، رقم (١٣٠) تاريخ وتراجم (وهي تكمل النسخة السابقة).
٤- العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن، نسخة المكتبة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء، رقم (١٣٦) تاريخ وتراجم.
٥- الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من الإسلام، القسم الأول، نسخة مصورة فوتوستات في مكتبة المجمع العلمي العراقي ببغداد، رقم : ٤٨.

ب- المصادر القديمة :

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت : ٨٠٨هـ/١٤٠٦م).
٦- تاريخ ابن خلدون، المسمى : العبر وديوان المبتدأ والخبر ...، مج ٤، منشورات دار الكتاب اللبناني، (بيروت، ١٩٦٨).
* ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي، (ت : ٧٤٤هـ/١٣٤٣م).
٧- تاريخ اليمن المسمى : بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق : مصطفى حجازي، مطبعة مخيمر، (القاهرة، ١٩٦٥).
* ابن المجاور، ابو بكر بن محمد بن مسعود بن علي بن احمد البغدادي النيسابوري، (توفي بعد سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).
٨- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة : تاريخ المستبصر، القسم ١،٢، باعتناء : أوسكر لوفغرين، مطبعة بريل، (ليدن، ١٩٥١، ١٩٥٤م).
* أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي، (ت : ٧٣٢هـ/١٣٣٢م).
٩- المختصر في أخبار البشر، مج١، ج٤، منشورات دار الكتب اللبناني، (بيروت، بدون تاريخ).
* أبو مخرمة، عبد الله الطيب بن عبد الله بن احمد، (ت : ٩٤٧هـ/١٥٤٠م).
١٠- تاريخ ثغر عدن، ج١،٢، باعتناء : أوسكر لوفغرين، مطبعة بريل، (ليدن، ١٩٣٦م).
* الأهدل، بدر الدين الحسين بن عبد الرحمن،(ت : ٨٥٥هـ/١٤٥١م).

١١- تحفة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق : عبد الله محمد الحبشي، منشورات المدينة، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).
* البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن، (ت : ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م).
١٢- طبقات صلحاء اليمن ، المعروف بـ : تاريخ البريهي، تحقيق : عبد الله محمد الحبشي، مركز البحوث والدراسات اليمني، (صنعاء، بدون تاريخ).
* الجعدي، عمر بن علي بن سمرة، (توفي بعد سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م).
١٣- طبقات فقهاء اليمن، تحقيق : فؤاد سيد، مطبعة السنة المحمدية، (القاهرة، ١٩٥٧م).
* الجندي، بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن يعقوب، (ت : ٧٣٢هـ/١٣٣٢م).
١٤-السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج١ ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، الطبعة الثانية، (صنعاء، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- ج٢، (صنعاء، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).
* الحازمي، ابوبكر محمد بن موسى، (ت : ٥٨٤هـ/١١٨٨م).
١٥-عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق : عبد الله كنون، (القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م).
* الحموي، أبو عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، (ت : ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).
١٦- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المسمى : معجم الأدباء، ج٢، باعتناء : د . س مرجليوث، الطبعة الثالثة، مطبعة هندية، (القاهرة، ١٩٢٤م).
١٧- معجم البلدان، ج٥،٤،١، دار صادر، (بيروت، ١٩٥٥ – ١٩٥٧).
* الديبع، عبد الرحمن بن علي، (ت : ٩٤٤هـ/١٥٣٧م).
١٨- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، القسم الأول، تحقيق : محمد بن علي الأكوع، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٧٧م).
* عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن علي، (ت : ٥٦٩هـ/١١٧٣م).
١٩- تاريخ اليمن المسمى : المفيد في أخبار صنعاء وزَبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق : محمد بن علي الأكوع، مطبعة السعادة، الطبعة الثانية، (القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م).
* الوصابي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن، (ت : ٧٨٢هـ/١٣٨٠م).
٢٠- تاريخ وصاب المسمى : الاعتبار في التواريخ والآثار، تحقيق : عبد الله محمد الحبشي، الطبعة الأولى، منشورات مركز الدراسات اليمنية، (صنعاء، ١٩٧٩م).

ج- المراجع الحديثة :

* ابراهيم، د . محمد كريم.
٢١- عدن، دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ٤٧٦ – ٦٢٦هـ/١٠٨٣ – ١٢٢٨م، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، الطبعة الأولى، (البصرة، ١٩٨٥م).
* جويتين ، د . س
٢٢- دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية، تعريب وتحقيق : الدكتور عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الطبعة الاولى، (الكويت، ١٩٨٠م).
* الحجري، محمد بن احمد.
٢٣- خلاصة من تاريخ اليمن قديما وحديثا، إشراف : يحيى احمد زبارة، مطبعة الأنوار، (القاهرة، ١٣٦٣هـ)
* حوراني، جورج فضلو.
٢٤- العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واوائل القرون الوسطى، ترجمة : الدكتور السيد يعقوب بكر، (القاهرة، ١٩٥٨م).
* العبدلي، الأمير احمد فضل بن علي محسن.
٢٥- هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية، (القاهرة، ١٣٥١هـ).
* العرشي ، القاضي حسين بن احمد.
٢٦- بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى مُلك اليمن من مَلك وإمام، عني بنشره : الأب أنستاس ماري الكرملي، مطبعة البرتيري، (القاهرة، ١٩٣٩م).
* كحالة، عمر رضا.
٢٧- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج٢، المطبعة الهاشمية، (دمشق، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م).
* لقمان، حمزة علي ابراهيم.

٢٨- تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، دار مصر للطباعة، (القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م).
* ماجد، د . عبد المنعم.
٢٩- ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، منشورات دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٨م).
* مجهول المؤلف.
٣٠- قلائد الجمن في ملوك عدن وصنعاء اليمن، طبع حجر، (كلكتا، ١٣٢٩هـ/١٩١١م).
* محمود، د . حسن سليمان.
٣١- تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي، طبع بمساعدة المجمع العلمي العراقي، (بغداد، ١٩٦٩م).
* محيرز،عبد الله .
٣٢- العقبة ،منشورات وزارة الثقافة ،مؤسسة ١٤ أكتوبر ،(عدن ،د.ت).
Goitein, S.D*
. A Mediterranean Society, Vol, I, (California, 1967)-33.

د- الدوريات :

* جويتين ، د . س .
٣٤- تقريران لشاهدي عيان حول حملة ملك كيش (قيس) ضد عدن، تعريب : صلاح سليم علي،مجلة الخليج العربي، المجلد (٢١)، العدد (٢)،إصدار مركز دراسات الخليج العربي / جامعة البصرة، (البصرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
* رابضه، أحمد صالح.
٣٥- تاريخ جزيرة صيرة، مجلة الخليج العربي ، المجلد (٢٠) العدد (١)،إصدار مركز دراسات الخليج العربي / جامعة البصرة، (البصرة، ١٩٨٨م).
* الشمري، أ . د . محمد كريم إبراهيم.
٣٦- أبوبكر بن أحمد العندي الابيني شاعر بني زريع وبني أيوب في عدن. مجلة المنارة، العددان : ٨ – ٩، إصدار : اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين – فرع عدن، (عدن، شتاء ٢٠٠٢م – ربيع ٢٠٠٣م).